بسم الله الرحمن الرحيم

المـقـدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمـا بعـد

فهذا "مختصر فتح الباري" الذي طالما تمنى طلبةُ العلم ظهورَه ، وكنت أتمنّى معهم أن نرى مختصراً لهذا الكتاب النفيس، والذي يُعدُّ أحسنَ الشروح التي رأينا وأوسعها وأجودها، لأصح كتب الحديث ، وذلك أنّي كنت أرى حبَّ طلاب العلم لهذا الكتاب وإقبالهم عليه ، غير أن القلة من هؤلاء الذين يُدركون قدرَ هذا الكتاب وما فيه من فوائد وشروح ، هم الذين تتسع أوقاتُهم لصحبته طويلاً، ومواصلةِ الجهد في استخراج فوائده ، واقتناص فرائده ، وأما الكثرة من القراء فإنهم ينصرفون إلى شروح أخرى ، فوائدها أقل ، وليس لمصنِّفيها من الإمامة والبراعة في فقه الحديث ، وفنونه المتعددة، ما للحافظ ابن حجر رحمه الله ، لكنهم ينصرفون آسفين لعدم توفر الأوقات الكافية ، ولضعف الهمم اللائقة بمثل هذا الكتاب الموسوعي النادر.

والسبب في ذلك كثرة استطرادات الحافظ في إيراد الطرق للأحاديث ومناقشاتها ، وإطالة النفَس في ذلك بما لا يناسب إلا القلة من المتخصصين .

ولما كنت شغوفاً بالفتح ، دائم المطالعة فيه لسنوات ، وقع في قلبي أن أختصره ، وأُقَرِّبَه لإخواني من محبي العلم الراغبين في الاستفادة من علم الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وفي البداية تهيبتُ هذا العمل الكبير ، لكنَّ اللهَ تعالى - وله سبحانه الفضل والمنَّة - صرف عني هذا التردد ، فاستعنت بالله ، واستشرت كثيراً من الإخوان المخلصين ، الأمناء على العلم والدين ، في مصر والسعودية وباكستان وغيرها ، ووضعت منهجاً للعمل في الكتاب وعرضته عليهم مع نموذج من المختصر ، فليس أحدٌ منهم إلاّ وأظهر بهذا المشروع سروره ، وكتب إلينا مشجعاً وداعياً الله تعالى لنا بالتوفيق والعون على إتمام الكتاب على هذا المنوال، فجزاهم الله عني وعن العلم أحسن الجزاء ، ووفقني وإياهم للعمل الصالح والعلم النافع .

وفكرة المختصرات ربما وُجد من أهل العلم من يرغب عنها ، لأن فيها إنصرافاً عن مقتضى

الهمم العالية في الطلب، وفتحَ الأبواب للتقصير في العمل على تحصيل الكمالات في العلم.

لكن الحافظ كثيراً مايطيل في بحوث وتفريعات وأقوال وهاك مثالاً من أمثلة كثيرة في الفتح على الإطالة التي اقتضت الاختصار قال: « واختُلف في اسم أبي ثعلبة، فقيل: جرثوم، وهو قول الأكثر، وقيل جرهم وقيل ناشب، وقيل جرثم، وهو كالأول لكن بغير إشباع، وقيل جرثومة وهو كالأول لكن بزيادة هاء وقيل غرنوق، وقيل ناشر وقيل لاشر وقيل لاش وقيل لاشن وقيل لاشومة، واختلف في اسم أبيه، فقيل عمرو وقيل ناشب وقيل ناسب بمهملة وقيل بمعجمة وقيل ناشر وقيل لاشر وقيل لاش وقيل لاشن وقيل لاشم وقيل لاسم وقيل جلهم وقيل حمير وقيل جرهم وقيل جرثوم، ويجتمع من اسمه واسم أبيه بالتركيب أقوال كثيرة جدا، وكان إسلامه قبل خيبر، وشهد بيعة الرضوان وتوجه إلى قومه فأسلموا...!!» (المجلد التاسع: ٦٠٦)

فالواقع الذي نعيشه ، يكشف لنا الدواعي إلى ضرورة تقريب هذه الشروح النفيسة للدعاة إلى الله ، وذلك للمحافظة على أصالة المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة ، وليس هناك منهج أكثر أصالةً وأحفظ للشريعة من منهج أهل الحديث؛ الذين يربطون الأجيال المسلمة بأسلافهم الصالحين من الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

والحافظ ابن حجر رحمه الله من أئمة أهل الحديث البارعين في فنه.. اصطلاحاً وطرقاً ونقداً وشرحاً ، وهو غني عن أن يُطال في الترجمة له .

ومن المناسب هنا أن أذكر أن الفتح قد اختُصر قبل ذلك* غير أن هذه المختصرات لم تطبع ولم نقف عليها كما أشار إلى ذلك فضيلة العلامة الشيخ / حمّاد الأنصاري حين قال عن مختصري هذا إنه أول مختصرٍ للفتح أراه .

وأنتهز هذه الفرصة لأتقدم بوافر الشكر وخالص الدعاء لفضيلة الشيخ / حمّاد الأنصاري لقاء ما أولاني من رعايته فترة عملي في الكتاب وما قدّم من نصح وتشجيع .

ولا يفوتني أن أتوجه بشكري وتقديري للأستاذين الكبيرين الدكتور / أكرم ضياء العمري والدكتور / سعدي الهاشمي الأستاذين في قسم الدراسات العليا بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية على الاستجابة الطيبة التي تفضلا بها بالكتابة إليّ بنصائحهما المفيدة وتشجيعهما الكريم ، فشكر الله لهما .

* أشار الشيخ صديق حسن خان في كتابه "الحطة" إلى أحد هذه المختصرات فقال عند الكلام عن فتح الباري: ومختصر هذا الشرح للشيخ أبي الفتح محمد بن حسين المراغي المتوفى سنة ٨٥٩ هـ. وأشار محقق "الحطة" الشيخ علي حسن عبد الحميد إلى أن اسم الكتاب "مختصر أبي الفتح لمقاصد الفتح"

وأشكر كثيراً فضيلة الشيخ / نقيب أحمد الرباطي الباكستاني الذي عمل معي سبع سنوات مدرساً في كلية الشريعة وكلية الحديث بجامعة الإمام البخاري في بشاور والتي تشرفت بتأسيسها ورئاستها وعمادتي لكليتيْها "الشريعة" و"الحديث" فقد استفدت من صحبته وعلمه كثيراً فجزاه الله عني خيراً على ما أفادني في العلم، وشجعني على عملي في الكتاب.

وأتقدم بالشكر للإخوة الأفاضل الذين عاونوني في المراجعة الأخيرة للكتاب قبل الطباعة فجزاهم الله جميعاً خيراً.

لقد عشت مع الحافظ رحمه الله في كتابه فترة عملي فيه، أقرأه كلمة كلمة، وأرقب بإعجاب كبير سعة علمه، وعميق فهمه، وتخصصه في كل فنون العلم، وثبات منهجه في

الكتاب كله، منهج الوقوف مع الحديث ، وقبول القول المدعم بالدليل ، وتقريره ، ورد ماعداه من الآراء العارية عن الدليل وتزييفها ، ولولا ما كان من متابعته للمؤولين في الصفات ومخالفته للسلف الصالح في هذا الجانب ، لكان الحافظُ وكتابهُ ، أعلى شأناً ، وأرفع قدراً عند الدارسين ، وكان الفتح بأصفى وأوسع ما ألّف في فقه الحديث ، ودراسة أسانيده.

وقد أحسن الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله حين علق على المجلدات الثلاثة الأول ، فوضع بهذا منهجاً يمكن أن يسير عليه القارئ في المجلدات الباقية، ويحتذيه من يقوم بخدمة أخرى للكتاب ، ولهذا حرصت -كما ذكرت في منهج الاختصار- المضمّن في هذه المقدمة ، أن أعلق على المواطن التي وقفت عليها مما خالف فيها الحافظُ بن حجر السلفَ الصالح في هذه المسألة.

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أنوه ببعض من استفدت من ملاحظاتهم وتعليقاتهم من أهل العلم وأخص الشيخ الدويش رحمه الله، في رسالته "التعليق على فتح الباري" والشيخ الغنيمان حفظه الله، في كتابه "شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري".

كنت أعجب وأنا أرى الحافظ ابن حجر رحمه الله حين يتناول مسألةً من مسائل الصفات، فيورد فيها أقوالاً من أقوال الأئمة الذين صحبهم في رحلته الطويلة في الكتاب، توافق مذهبه أمثال ابن بطال المالكي ، والذي يعدُّ فارس الفتح الأول بعد الحافظ ، والمهلب بن أبي صفره وابن التين ، والزين بن المنيّر ، وأخيه ناصر الدين ، وابن أبي جمرة، والخطابي الشافعي ، والنووي، والكرماني الحنفي رحمهم الله جميعاً.

كنت أعجب من أنه لا يورد في المسألة أقوال المخالفين له من أهل التحقيق ومتبعي السلف الصالح ، أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وغيرهما ، اللهم إلا في مسألة الاستواء فإنه رحمه الله كاد أن يكون فيها على قول السلف الصالح وذلك أنه أورد فيها أقوالاً واضحةً صحيحةً لأئمةٍ كبار كأبي إسماعيل الهروي، وأبي القاسم اللالكائي والبغوي وغيرهم ونقل ما أسندوه إلى كبار الأئمة كالإمام أحمد والإمام الشافعي والسفيانين وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم من أئمة أهل السنة الذين يثبتون علوه سبحانه، وأنه تعالى على عرشه بائن من خلقه، وقد مال إلى قولهم ونصره.. وليته رحمه الله طرد مسلكه فيها في كل مسائل الصفات.

ومما أعجب منه أيضاً أن الحافظ صحب صحيح البخاري في رحلةٍ طويلة امتدت ربع قرن من الزمان كان يتابع فيها دقة الإمام البخاري رحمه الله في مصنفه ، وفقهه في تراجمه ، وقد لاحظ أن الإمام البخاري لم يَدخُل مرةً واحدة في ما دخل فيه المؤولون ، وعصمه الله من الزلل فبقي على منهج السلف في إمرار الصفات على ظاهرها وإثباتها حقيقةً، فكان أحرى بالحافظ أن يوافق السلف وأئمة الحديث وعلى رأسهم الإمام البخاري.. رحم الله الجميع.

* منهج الاختصار

١ ـ حذفت أسانيد صحيح البخاري واكتفيت بذكر الحديث عن الصحابي إن كان السياق يساعد على ذلك وإلا أوردت التابعي معه، وإذا ذكر أحد رجال السند في متن الحديث فإني أبدأ السند من عنده. وقد استأنست واستفدت من صنيع الحافظ المنذري رحمه الله في اختصاره لمسلم والشيخ الألباني حفظه الله في اختصاره للبخاري، وأبقيت تراجم الأبواب كما هي إذ أن فقه البخاري في تراجمه كما هو معروف.

٢ ـ حافظت على عبارة الحافظ ابن حجر رحمه الله كما هي، فلم أتصرف فيها حتى بعبارة ربط بين الفقرات وساعد على ذلك طريقة شرحه للحديث حيث يشرح جملة جملة فيقول مثلاً: **قوله** (بعمل أهل الجنة) ثم يشرح وينقل من أقوال أهل العلم ما يراه ثم ينتقل إلى الجملة التالية فيقول: قوله (باب العمل بالخواتيم) وهكذا.

٣ ـ لما كان هدفي من اختصار الفتح، تقريبه لطالب العلم الذي لا يتسع وقته لقراءة الأصل أعرضت عن استطرادات الحافظ في إيراد الطرق ومناقشاته الطويلة لغيره من الشراح في

مسألة قد تحسم بأسطر قليلة فاكتفيت بالخلاصات في معنى الحديث وأوردت أقوال أهل العلم لا سيما الأئمة الأربعة ومن كان في منزلتهم فيما يتعلق بالفقه مراعياً رغبة كثير من المهتمين بالعلم الشرعي في الوقوف على المذاهب في المسألة.

٤ ـ حرصت على إبراز قول الجمهور إلا أن يكون الدليل واضحاً على قول آخر فأعتمده مع ذكر قول الجمهور.

٥ ـ اكتفيت بالأحاديث التي يحكم عليها الحافظ بالصحة أو الحسن أو يورد لها شواهد تقويها إن كان فيها مقال، وبهذا يكون ما اعتمدت عليه من أقوال في المختصر مؤيداً بأصح الأحاديث وأقواها إسناداً وأشملها لفظاً.

٦ ـ حافظت على آراء الحافظ وترجيحاته وأبرزتها مع غيرها ، كما حرصت على إيراد أقرب الأقوال إلى مدلول الأحاديث في الباب

٧ ـ حذفت المناقشات اللغوية واللفظية مما لا يتصل بتفسير الكلمة اتصالاً وثيقاً واكتفيت بتدقيق التشكيل لكلمات الحديث.

٨ ـ قمت بعزو الآيات من تراجم أبواب البخاري إلى سورها ورقم الآية في السورة وذلك من بداية المجلد الثامن حتى نهاية المجلد الثالث عشر تكملة لما قام به الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله حيث تَوقَّف عن عزو الآيات عند نهاية المجلد السابع.

٩ ـ كان اختصاري على النسخة التي حققها الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله ، وأشرف على طباعتها بالمطبعة السلفية بمصر الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله.

وقد لاحظت أن شرح الحافظ ابن حجر كان على رواية غير الرواية التي طُبعت مع الفتح، إذ إن هناك مخالفاتٍ كثيرةً بين الروايتين، فقمت بالإشارة إلى ذلك وبيَّنتُ في كل هذا أدق الأوجه في المواطن المغايرة من النسخة التي اعتمدتها في التصحيح ، وهي النسخة "اليونينية" التي أمر بطبعها السلطان عبد الحميد رحمه الله، وقام بتحقيقها العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

١٠ ـ لما كان الإمام البخاري رحمه الله يكرر الأحاديث ويقطعها في الأبواب كما هو معروف وذلك لفوائد لا نطيل بذكرها ، فقد تابع الحافظ بشرحه هذا المنهج ، فيشرح الحديث في الباب مراعياً المقصود من الباب ، ويعيد شرحه في باب آخر مراعياً مقصوداً آخر ،

فتوزعت الفوائد في أبواب متباعدة فاقتضى ذلك أن يحيل القاريء على مواطن الشرح السابقة أو اللاحقة منعاً للتكرار ، وعوناً للباحث على جمع أطراف البحث والاستفادة من كل الشرح.

فقمتُ بعمل خدمةٍ لهذه الإحالات وبينت موطنها مشيراً إلى اسم الكتاب ورقم الباب ورقم الحديث ورقم المجلد ورقم الصفحة من المختصر، على نحو هذا المثال [كتاب المغازي باب / ٨٥ ح ٤٤٦٤ - ٣ / ٤٤٥] وجدير بالذكر أن هذه الخدمة قد أعددتها أصلاً للفتح ثم أنزلتها على المختصر، وأسأل الله تعالى أن ييسر طباعتها إما مع طبعةٍ جديدةٍ للفتح أو تكون على حدة.

١١ ـ أبقيت تعليقات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- على مذهب الحافظ ابن حجر في مسألة الصفات ومسألة التبرك بالصالحين لما لتعليقاته من عظيم الفائدة، فعلت ذلك نُصرة لعقيدة السلف الصالح التي هي أحكم وأصح لأنهم -بداهة- أعلم وأفهم، لقربهم من زمن النبوة وعلمهم بمقاصد الشريعة وأسرار اللغة العربية.

١٢ ـ علّقت على باقي المجلدات التي لم يُعلّق عليها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وسرت في تعليقي على نفس منهجه حفظه الله ونفع به.

هذا ما تيسر الإشارة إليه في هذه المقدمة الموجزة للكتاب والذي سميته «إتحاف القاري باختصار فتح الباري» وإني أرجو أن أكون وُفقتُ فيه ، وأسأل الله أن يتقبل ذلك مني قبولاً حسناً ، ويجزيني به ووالديَّ ومشايخي خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

وصلِّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وكتبه

أبو صهيب

صفاء الضوّي أحمدالعدوي

ماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة البنجاب

ورئيس جامعة الإمام البخاري وعميد كلية الشريعة وكلية الحديث فيها - سابقاً

أول رجب ١٤١٣هـ